مجلة الرائد

العدد : ٢٠٨ الموافق في ذو الحجة ١٤١٩ هجري ٤ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : القضية الفلسطينية والمشروع الصهيوني	بقلم : متولي موسى

لقد تمكن المشروع الصهيوني وتجذر في المنطقة العربية ، ونجح في إقناع دول الطوق بالدخول معه في معاهدات ومفاوضات ، كما نجح في إقناع البلاد العربية والإسلامية بشرعية وجوده - وإن كان حتى الآن لم تتحدد له حدود - كما تمكن من إقامة حلف " استراتيجي " مع تركيا ، وسعى لامتلاك التكنولوجيا المتطورة وصناعة الأسلحة التي أصبح لديه ترسانة ضخمة منها بجميع أنواعها وخاصة أسلحة الدمار الشامل ، وأخيراً دخل سوق تصدير هذه الأسلحة المتطورة فأصبح منافساً لدول كبرى ، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، وفي المقابل تزداد البلاد العربية تمسكاً بالتجزئة ، ويتعمق العداء بين أنظمتها وشعوبها ، والسعي قائم لإحياء العصبيات والقبلية التي تزيد الأحقاد ، وتسعّرُ الصراعات ، ويمكن تسجيل الملاحظات التالية :

الأنظمة الحاكمة في البلاد العربية والإسلامية قامت على مبادئ فصل الدولة عن عقيدة معظم أبناء شعوبها ، وعلى مبادئ لا تنهض على توحيد الشعب الواحد فضلاً عن شعوب مختلفة ؛ فالأنظمة العربية رفعت لواء القومية تارة ولواء الوطنية أخرى ، وبعضها سارع إلى الاشتراكية في وقت وجودها ، وجميعها تفتقر إلى " الشرعية " ، إذ أن حدودها وسياستها رسمها الاستعمار القديم والجديد ، والسيادة فيها تقوم على الاستبداد والطغيان السياسي والعسكري ، فهي لا تحقق مصالح الأمة .

بالنسبة لقضية فلسطين ، كان الشعار في البداية " التحرير الكامل لأرض فلسطين " ولكنه لم يكن هناك ثبات على هذا المبدأ ، وبالتالي لم تكن هناك رؤية واضحة لطبيعة الصراع العربي - الصهيوني ، وعليه فلم يكن هناك المشروع القادر على استنهاض طاقات الأمة وتجنيدها في معركة الصراع ، مما أدى إلى الاستسلام للعدو ، والاستجابة الدائمة لمطالبه ، والتنازل المستمر عن حقوق العرب والمسلمين في فلسطين ، وفي كل مرة كان يتم فيها تنازل المفاوض العربي تذكر نفس الحجة " نريد البقاء على الساحة وفي دائرة الضوء لإحراز مكاسب مستقبلية !!! " وأخيراً أعلن المفاوض الفلسطيني " لقد حققنا الاعتراف بوجود شعب فلسطيني لأول مرة في التاريخ ، وانتزعنا اعترافاً بأن له حقوقاً مشروعة ، بعد أن كانت القضية هي مشكلة لاجئين !!! "

لقد استطاع المشروع الصهيوني ، وبدعم من أمريكا والدول المتنفذة في العالم استبعاد المشروع الإسلامي من الساحة ودمغه بالعنف والإرهاب ، وفرض على السلطة الفلسطينية محاصرته والعمل

على القضاء عليه ، وذلك لأنه هو المشروع القادر مستقبلاً على استنهاض طاقات الأمة الإسلامية وتعبئتها للجهاد في سبيل الله لتحرير الأرض من المحتل الغاصب ، فهو المشروع الذي يستند إلى مبدأ اعتبار أرض فلسطين مباركة ، تربطها مع المسجد الحرام رابطة التوحيد ، وكان تطهير هذه الأرض يعتمد على هذا المبدأ منذ تسلم عمر بن الخطاب ﷺ مفاتح القدس ، وطهرها صلاح الدين الأيوبي من الصليبيين ، وحافظ عليها قطز من التتار الغاشمين تحت لواء" لا إله إلا الله محمد رسول الله "

عمل الغزو الثقافي - تساعده الأقنية الفضائية - على ايجاد حالة فوضى فكرية في العالم العربي ، وذلك بغرس اطروحات فكرية غربية تعمل على إبعاد المسلمين عن مرجعية الوحي ، فترى معظم رجال الإعلام والفكر يتحدثون عن شؤون البلاد الداخلية وأنظمة الحكم الاستبدادية القمعية وكأن البلاد بألف خير فضلاً عن أن العولمة جعلت هذه البلاد الصغيرة فاقدة لسيادتها على أرضها ، ما دامت لا تملك مقومات البقاء في عصر التكتلات وكل ذلك ينبغي أن يدفع بالمثقف العربي للتفكير الجذري في الدعوة لقيام تكتل عربي ، ثم تكتل إسلامي ، حتى يمكننا أن نعالج قضايا وجودنا ومصيرنا قبل فوات الأوان .

خطوات على طريق لخروج من هذا الوضع

لقد علمنا التاريخ بصفة عامة وتاريخ الدعوة الإسلامية بصفة خاصة أن الخروج من مثل هذه الأوضاع يكون بالإيمان بالله تعالى والتزام الحق والثبات عليه وعدم التنازل عنه بأي حال من الأحوال ، ورفض المداهنة ، وعدم القبول بالحلول الجزئية . وأشير هنا إلى معالم طريق الخلاص الإسلامي :

عدم الخضوع لأساليب أعداء الله في الترهيب والترغيب

لقد نقل لنا القرآن الكريم قصص النبيين وما سعت إليه أقوامهم من ترهيبهم وترغيبهم ، وكتب السنة والسيرة تنقل لنا ما حدث مع النبي ﷺ حتى وصل الأمر إلى حصاره ومن آمن معه في الشعب وكيف كان أصحابه القلائل يُتخطفون ويُؤذون في الله أشد الإيذاء وهم صابرون محتسبون ، ولم يتنازلوا ولم يتخلوا عن الحق الذي آمنوا به ، قال الله ﷻ واصفاً ذلك { واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون } [الأنفال : ٢٦]

عدم الوقوع في فخ الاستدراج

فالاستدراج للتنازل والقبول بالحلول الجزئية يؤدي إلى التسليم للعدو المغتصب بجزء ولو صغير أول الأمر ، ثم يقع صاحب الحق في مسلسل التنازل ، ويجعل المؤمنين يعتمدون على عدوهم في

الحصول على جزء من حقوقهم ، والله تعالى وحده هو الذي يعتمد عليه المؤمنون في الاجتماع والتعاضد والتعاون ، وهو وحده الكفيل بنصرهم على عدوهم ، قال تعالى { أمّن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور } [الملك :٢٠].

السعي لتحقيق النمو الكيفي وامتلاك أسباب التمكين

لقد أصبحت الفوارق بين الأمم فوارق نوعية ، والإسلام دين يطالب بالنمو الكيفي وامتلاك أسباب التمكين ، فالله تعالى الذي طالبنا بالاعداد وامتلاك كل ضروب القوة فقال ﷻ { **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون** } [الانفال : ٦٠] هو الذي ضرب لنا المثل بأصحاب رسول الله ﷺ كيف حققوا النمو الكيفي فقال ﷻ { **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً** } [الفتح : ٢٩].نعم ذلك وصفهم الرائع الموجود في التوراة : كزرع أخرج فراخه وفروعه المتفرعة في جوانبه ، فقوي ذلك الشطأ فصار غليظاً قوياً واستقام على أصوله ، يعجب الزراع من كماله واستوائه وحسنه واعتداله .كذلك الصحابة ﷺ هم كالزرع في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم ، فقوة إيمانهم وأعمالهم بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه وكون الصغير والمتأخر إسلامه ، قد لحق الكبير السابق وآزره وعاونه على ما هو عليه من إقامة دين الله تعالى فتحققت لهم وباجتماعهم الشدة على أعداء دينهم.